



في الذكرى الرابعة لاغتيال ثلاثة من قادة حزب الله قال حسن نصر الله: "ما أقدم عليه حتى الآن الرئيس بشار الأسد والقيادة السورية من إصلاحات، وما اتخذ من قرارات، وأجرى من تعديلات، هل أقدم عليه أو يمكن أن يقدم عليه ملك أو أمير أو شيخ أو رئيس في أي نظام عربي حالياً". وأضاف: "فلنفترض النظام في سوريا مثل إسرائيل، أنتم تقبلون حلّاً سياسياً مع إسرائيل، تقبلون الحوار مع إسرائيل، تقبلون تسوية مع إسرائيل، لماذا مع نظام عربي له الكثير من الإيجابيات ولديه سلبيات مرفوض الحل السياسي"... دلوني على المنطق".

ولنا مع هذا الكلام وقفات:

الوقفة الأولى:

أن العاقل لا يمكن أن يترك الطريق السهل الميسر، ويلجأ إلى الطريق الوعر الشاق إلا إذا كان لديه مقاصد خفية ومارب خاصة، فليفسر لنا الأمين العام لحزب الله إذن: ما دام زميله ورفيق دربه الرئيس السوري بشار الأسد يحمل كل هذه التوايا الطيبة تجاه شعبه، ولديه كل هذه الرغبة في الإصلاح، لماذا لم يقف أمام شعبه فور بدء الاحتجاجات والمظاهرات ويعلن عن تلبية مطالبه المحققة في الحرية والكرامة والتعددية والعدالة؟ ولماذا تأخر كل هذا الوقت في الإعلان عن هذه الإصلاحات حتى سالت كل تلك الدماء سواء من معارضيه أو مؤيديه؟ ولماذا اختار أن يعرض نفسه وحكومته إلى كل تلك العقوبات الاقتصادية والdiplomatic العربية والدولية، ويتسبب بكل تلك الانتقادات التي اتهمته بالوحشية والإبادة الجماعية وارتكاب جرائم ضد الإنسانية؟ لماذا لم يقطع الطريق على كل "العصابات المسلحة التي استغلت المظاهرات للاعتداء على مؤسسات الدولة والمواطنين على حد سواء"؟ ولماذا ترك الذرائع مشرعة أمام أولئك "المتأمرين على سوريا ودورها العربي المممان" والذين وجدوا في اعتماده على الحل الأمني مع المحتجين ضاللهم المنشودة للتدخل في شؤون سوريا والتآمر عليها كما يزعم النظام، لو كان زاهداً في الكرسي كما يزعم ويدعى هو وأنصاره لقبل على الفور الانصياع لإرادة شعبه ولما أرافق وما يزال كل هذه الدماء.

ولنفترض أن ضميره قد استيقظ مؤخراً فلماذا لم يقف أمام العالم بجرأة ويسدّر أوامره بوقف المجازر التي يرتكبها جيشه وشبيحاته بحق الأطفال والنساء والشيوخ منذ أحد عشر شهراً فوراً ويخرج عشرات ألف المعتقلين من سجونه، ويعلن أصطلاحه مع شعبه واستجابته لمطالبهم المحققة والعادلة، وإذا كان نصر الله يتساءل: دلوني على المنطق في عدم قبول الحل السلمي مع النظام السوري بينما تقبلونه مع إسرائيل، فنحن نعكس السؤال ونقول: ولماذا لا يقبل حليفك بشار إلا

اعتماد القتل وارتكاب المجازر بحق الناس ما دام يريد لهم كل ذلك الخير الموعود، وكيف سيصدق الناس مزاعم الإصلاح الموعود وهو يواجهون الموت صباح مساء على أيدي من يعدهم بالإصلاح؟ دلنا على المنطق.

الوقفة الثانية:

نسأل حسن نصر الله ما الجديد في الإصلاحات والدستور الجديد الذي سيجري التصويت عليه يا ترى؟ وما عيب الدستور الذي القديم الذي وضعه والده؟ أو لم تسوق ثورة والده حافظ نفسها على أنها حركة تصحيحية، أو لم يصنف حافظ الأسد على أنه أعظم رئيس جاد به الزمان على سوريا منذ فجر التاريخ حتى قال بشأنه أحد المعجبين: "لو كان بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً لكان حافظ الأسد"، وتمت بيته إلى الأبد، ومع ذلك: هل جرت مجازر حماة وجسر الشاغور وتل الزعتر وسجن صيدنيا وغیرها الكثير إلا في بحثة الحركة التصحيحية ومبادئها العظيمة؟ وفي ظل حكم الرئيس القائد وعهده الميمون؟ وهل جرت كل المجازر الحالية والاعتقالات والتهجير واقتحام المنازل وانتهاك الأعراض منذ أحد عشر شهراً إلا بعد أن ألغى بشار الأسد قانون الطوارئ؟ ما فائدة أن يكتب قانون دولة فاضلة لا يجد الناس له أي أثر على الأرض؟ أولاً تنص مواد الدستور القديم على أن الحرية حق مقدس؛ وأن الدولة تكفل للمواطنين حرية الشخصية وتحافظ على كرامتهم وأمنهم؛ وعلى أن المواطنين متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات، وعلى أن كلاً منهم بريء حتى يدان بحكم قضائي مبرم، وعلى أنه لا يجوز تحري أحد أو توقيفه إلا وفقاً للقانون، وعلى أنه لا يجوز تعذيب أحد جسدياً أو معنوياً أو معاملته معاملة مهينة ويحدد القانون عقاب من يفعل ذلك. وعلى أن المساكن مصونة لا يجوز دخولها أو تفتیشها إلا في الأحوال المبينة في القانون" إلى آخر ما هنالك من مبادئ عادلة ونظم مثالية؛ لكن أين ومتى طبق شيء من هذه المواد وتلك القوانين؟ أو لم ير العالم كله إجبار المعتقلين على السجود لصور بشار والقول بأنه ربهم؟ أو لم تقتحم البيوت وتنتهك حرماتها، أو لم تهن كرامات الناس وتتوطأ رقابهم؟ أو لم تتصف المساجد ويسنع الناس من أداء الصلاة؟ أو لم تتصف المستشفيات ويختطف الجرحى... إلخ كل ذلك حدث في ظل القانون الذي يحرم ويجرم تلك الأفعال، إذن العيب ليس في القوانين ولا في الدستور بل بالسلطة التي لم تطبق ولا تريد أن تطبق القانون، وهذا ما يدفع الشعب السوري بأغلبيته الساحقة على الإصرار على المطلب الأهم وهو إسقاط النظام، ولو دفعوا في سبيل ذلك أرواحهم وأموالهم وحياتهم، لأن البالية كلها تكمن في السلطة الحاكمة التي تستطيع في أي وقت أن تدوس على القانون وتفعل ما تشاء دون رقيب أو حسيب، وليس المشكلة في الدستور ولا مواده، ولم يعد أحد من أبناء الشعب يصدق أياً من وعود الإصلاح المزعوم.

الوقفة الثالثة:

إذا كان النظام واثقاً من أن أغلبية الشعب معه تؤيد نهجه وإصلاحاته وتسير في مسيراته المليونية في كل المدن والقرى السورية تعبيراً عن الولاء المطلق للرمز والقائد، فلماذا يخاف بشار من الاحتکام إلى صناديق الاقتراع؟ لماذا لا يدعو إلى انتخابات حرة ونزيه وبإشراف دولي محايده ليثبت للقاصي والداني ولكل المشككين أن الشعب بأغلبيته الساحقة مع النظام ويتمسك برئيشه ولا يقبل عنه بدلاً.

الوقفة الرابعة:

نعم يمكن أن نفهم كلام الأمين العام لحزب الله في حالة واحدة هي: إذا سلمنا له أنه وحده ومن يقف في صفه ممن نصبووا أنفسهم أوصياء على الأمة من يحق لهم تولي السلطة والحكم، ومن يمتلك حق حمل السلاح والقوة لأنهم وحدهم المؤمنون على الأمة وحرماتها وحراس هويتها، أما الآخرون فهم متآمرون وعملاء وخونة ولا زالوا مراهقين لا يسلمون سلطة ولا سلاحاً، بل يجب أن يبقى محجوراً عليهم أبداً ودهر الدهارين، لكن هذا ولسوء حظ الأمين العام والرئيس السوري بشار ما لم يقبل به أحد منمن أيفن بحقه بالتحرر ويقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

المصدر: موقع المسلم

المصادر: